الحجَّاجَ قرأ هذه السورة على المنبر يحضُّهم على الغزو، فجرى على لسانه: «أَنَّ ربَّهم» بفتح الألف، ثم استدركها فقال: «خَبير» بغيرِ لامٍ[١]. ولولا اللامُ لكانت مفتوحة، لوقوع العلم عليها. وقرأ أبو السَّمَّال: «أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ»[٢]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

تفسير سورة «القارعة»

وهي مكيةٌ بإجماع[٣]. وهي عَشْرُ آياتٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامةُ والساعة، كذا قال عامَّةُ المفسِّرين. وذلك أنَّها تقرعُ الخلائقَ بأهوالها وأفزاعها. وأهلُ اللغةِ يقولون: تقولُ العرب: قَرَعَتْهُمُ القارِعةُ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة: إذا وقع بهم أمرٌ فظيع. قال ابن أحمر:

وقارعةٍ مِن الأيام لولا ... سبيلُهُمُ لزاحَتْ عنك حِينا[٤]

وقال آخر:

متى تَقْرَعْ بمَرْوتِكُم نَسُؤْكُمْ ... ولم تُوقَدْ لَنَا في القِدْرِ نَارُ[٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدةُ من شدائد الدَّهر.

---

(١) ذكره بنحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ١٦٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٩.

(٣) زاد المسير ٩/ ٢١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٨.

(٤) اللسان (عزز)، ووقع في (ظ): لراحت.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٧.

قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ استفهامٌ، أي: أيُّ شيء هي القارعة؟ وكذا ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ كلمةُ استفهامٍ على جهةِ التعظيمِ والتفخيم لشأنها، كما قال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ على ما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾

«يوم» منصوبٌ على الظَّرف، تقديرُه: تكونُ القارعةُ يومَ يكونُ الناسُ كالفراش المبثوث. قال قتادة: الفراشُ: الطيرُ الذي يتساقطُ في النار والسِّراج[١]. الواحدةُ فراشة، وقاله أبو عبيدة[٢]. وقال الفرَّاء[٣]: إنه الهَمَجُ الطائرُ من بَعوضٍ وغيرِه، ومنه الجراد. ويقال: هو أطيشُ من فراشة؛ قال:

طُوَيِّشٌ مِن نَفَرٍ أَطْيَاشِ أَطْيَشُ من طائرةِ الفَراشِ[٤]

وقال آخر:

وقدْ كانَ أقوامٌ رَدَدْتُ قُلُوبَهُمْ عليهم وكانوا كالفَراشِ من الجَهْلِ[٥]

وفي «صحيح» مسلم عن جابر[٦]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومثَلُكُمْ كَمثَل رجلٍ أَوْقَدَ ناراً، فجعل الجنادِبُ والفَراشُ يَقَعْن فيها، وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تَفَلَّتون مِن يَدي». وفي الباب عن أبي هريرة[٧].

والمبثوثُ: المتفرِّقُ. وقال في موضعٍ آخَرَ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. فأوَّلُ

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٣ .

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٩ ، وفيه: طير لا بعوض ولا ذباب، هو الفراش.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٦ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٨ .

(٤) ذكره ابن عادل في اللباب ٢٠/ ٤٧١ .

(٥) البيت للفرزدق، وهو في النقائض ١/ ١٣٠ ، ومنتهى الطلب ٥/ ٣١١ برواية:

وحولكَ أقوامٌ رددتُ قلوبَهم عليهم فكانوا كالفراش من الجهل

(٦) برقم (٢٢٨٥)، وسلف ١٧/ ٦١ .

(٧) أخرجه أحمد (٧٣٢١) و(٨١١٧)، والبخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، وسلف ١٧/ ٦١ .

حالِهم كالفَراش لا وجهَ له، يَتَحيَّر في كلِّ وجهٍ، ثم يكونون كالجراد؛ لأنَّ لها وجهاً تقصِدُه.

والمبثوث: المتفرِّقُ المنتشِر، وإنَّما ذكَّر على اللَّفظ، كقوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] ولو قال: المبثوثةِ [فهو][1] كقوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وقال ابن عباس والفرَّاء: «كالفراشِ المبثوثِ»: كغَوغاء الجراد، يركبُ بعضُها بعضاً. كذلك الناسُ يجولُ بعضُهم في بعضٍ إذا بُعثوا[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾

أي: الصوف الذي يُنْفشُ باليد، أي: تَصيرُ هباءً وتزول، كما قال جلَّ ثناؤه في موضعٍ آخَرَ: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]. وأهلُ اللغة يقولون: العِهنُ: الصوفُ المصبوغ. وقد مضى في سورة «سأَلَ سائلٌ»[3].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قد تقدَّم القولُ في المِيزان في «الأعراف والكهف والأنبياء»[4]. وأنَّ له كِفَّةً ولساناً توزنُ فيه الصُّحفُ المكتوبُ فيها الحسناتُ والسَّيئات[5]. ثم قيل: إنه ميزانٌ واحدٌ بيد جبريل يَزِنُ أعمالَ بني آدم، فعبَّر عنه بلفظِ الجمع. وقيل: موازين،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ ، وسلف عنه قريباً بنحوه، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٣) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٤) ينظر ٩/ ١٥٦ ، و١٣/ ٣٩٣ ، و١٤/ ٢١٢ .

(٥) قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٦٥ : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن، أو بما جاء عن رسول الله ﷺ، ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام شيء يصح في صفة الميزان.

كما قال:

فلِكلِّ حادِثةٍ لَهَا مِيزانُ

وقد ذكرناه فيما تقدَّم[١]. وذكرناه أيضًا في كتاب «التذكِرة»[٢].

وقيل: إنَّ الموازين: الحُجَجُ والدلائل؛ قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد بقول الشاعر:

قَد كُنتُ قبلَ لقائكم ذا مِرَّةٍ عِندي لكُلِّ مخاصِمٍ مِيزانُهُ[٣]

ومعنى «عِيشةٍ راضِيةٍ»، أي: عيشٍ مَرْضيٍّ، يرضاه صاحبُه.

وقيل: «عيشةٍ راضِيةٍ» أي: فاعلة للرضا، وهو اللِّينُ والانقيادُ لأهلها. فالفعلُ للعيشة لأنها أعطت الرضا مِن نفسِها، وهو اللِّينُ والانقياد. فالعيشةُ كلمةٌ تجمع النِّعَم التي في الجنة، فهي فاعلةٌ للرضا، كالفُرُش المرفوعة، وارتفاعُها مقدارُ مئةِ عام، فإذا دنا منها وليُّ اللهِ اتَّضَعتْ حتى يستويَ عليها، ثم ترتفعُ كهيئتها، ومثل الشجرة فروعها، كذلك أيضاً من الارتفاع، فإذا اشتهى وليُّ اللهِ ثمرتَها تَدلَّتْ إليه، حتى يتناولها وليُّ الله قاعداً وقائماً، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. وحيثما مشى أو تَنقَّل من مكانٍ إلى مكان، جرى معه نهرٌ حيث شاء، عُلُوًّا وسُفْلًا، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]. فيُروَى في الخبر: أنه يشير بقضيبه فيجري من غير أخدودٍ حيث شاء من قصوره وفي مجالسه[٤]. وهذه[٥] الأشياءُ كلُّها عيشةٌ قد أَعْطَتِ الرِّضا من نفسها، فهي فاعلةٌ للرضا، وهي انذلَّتْ وانقادَتْ بذْلاً وسماحة.

---

(١) ١٤/ ٢١١، وصدره: ملك تقوم الحادثات لعدله.

(٢) ص ٣٢٠.

(٣) سلف ١٢/ ١٩١، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٣٩.

(٥) في (م): فهذه.

ومعنى ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يعني جَهَنَّم. وسمَّاها أُمًّا، لأنَّه يأوي إليها كما يأوي إلى أمِّه؛ قاله ابن زيد[١]. ومنه قولُ أميةَ بنِ أبي الصَّلْت:

فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمَّنا ... فيها مَقابرُنا وفيها نُولَدُ[٢]

وسمِّيتِ النارُ هاوية، لأنه يهوِي فيها مع بُعْدِ قَعْرِها. ويُروَى أنَّ الهاوية اسمُ البابِ الأسفلِ من النار.

وقال قتادة: معنى «فأمُّه هاوِية»: فمصيرُه إلى النار[٣]. عكرمةُ: لأنه يهوي فيها على أمِّ رأسه[٤]. الأخفش: «أمُّه»: مستَقَرُّه، والمعنى متقارِبٌ. وقال الشاعر:

يا عمرو لو نالَتْكَ أرماحُنا ... كنتَ كَمَن تهوي به الهاوِيَهْ[٥]

والهاوية: المَهْواة. وتقول: هَوَتْ أمُّه، فهي هاوية، أي: ثاكِلَة، قال كعب بن سعد الغَنَوِيُّ:

هَوَتْ أُمُّه ما يبعثُ الصبحُ غاديا ... وماذا يؤدِّي الليلُ حين يَؤُوبُ[٦]

والمهوى والمَهْوَاة: ما بين الجبلين، ونحو ذلك. وتهاوَى القومُ في المَهْواة: إذا سقط بعضُهم في إثر بعض[٧].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٦ .

(٢) ديوان أمية ص ٥٢ ، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ .

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٥ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ .

(٥) البيت لعمرو بن مِلْقَط شاعر جاهلي، كما في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ٦٢ ، والخزانة ٩/ ٢١ ، وبلا نسبة في الصحاح (هوى). ووقع في النوادر والخزانة: يا أوس لو نالتك... وأوس هو ابن حارثة بن لأم الطائي، كما ذكر البغدادي.

(٦) الأصمعيات ص ٩٥ ، وأمالي القالي ٢/ ١٥٠ ، والصحاح (هوى)، والكلام منه، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٤ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٩٠ ، والخزانة ١٠/ ٤٣٥ . والبيت من قصيدة في رثاء أبي المغوار الغنوي، وقوله: ما يبعث الصبح...، يريد أن هذين الوقتين يجددان ذكره ويثيران الحزن عليه؛ لأن الصباح وقت الغارة، والليل وقت طروق الضيفان. سمط اللآلي ٢/ ٧٧٣ .

(٧) الصحاح (هوى).

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الأصلُ: «ما هي»، فدخلت الهاءُ للسَّكْت. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وابن مُحيصن: «ما هيَ» بغير هاءٍ في الوصل، ووقفوا بها[١]. وقد مضى في سورة الحاقَّةِ بيانُه[٢].

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: شديدةُ الحرارة. وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «نارُكم هذه التي يُوقِدُ ابنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءًا من حرِّ جهنَّم» قالوا: والله إنْ كانت لكافيةً يا رسول الله! قال: «فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستِّين جزءًا، كلُّها مثلُ حرِّها»[٣].

وروي عن أبي بكرٍ ﷺ أنه قال: إنَّما ثَقُلَ ميزانُ مَن ثَقُلَ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الحقُّ، وحُقَّ لميزانٍ يكونُ فيه الحقُّ أن يكون ثقيلاً. وإنَّما خفَّ ميزانُ مَن خفَّ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الباطلُ، وحُقَّ لميزانٍ يكون فيه الباطلُ أن يكون خفيفاً.[٤]

وفي الخبر عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ الموتى يَسألون الرجلَ يأتيهم عن رجلٍ مات قَبْلَه، فيقول: ذلك مات قبلي، أمَا مرَّ بكم؟ فيقولون: لا والله، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ذُهِب به إلى أمِّه الهاوية، فبِئْسَتِ الأمُّ، وبئستِ المُرَبِّيةُ». وقد ذكرناه بكماله في كتاب «التذكرة»[٥]، والحمد لله.

---

(١) التيسير ص ٢٢٥ ، والنشر ٢/ ١٤٢ عن حمزة ويعقوب، والمشهور عن الكسائي إثبات الهاء في الحالين.

(٢) عند تفسير الآية (١٩) منها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٤٣)، وهو عند أحمد (٨١٢٦)، والبخاري (٣٢٦٥)، وسلف عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الواقعة.

(٤) قطعة من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، والخبر أخرجه بنحوه مطولاً ابن المبارك في الزهد (٩١٤)، وهناد في الزهد (٤٩٦)، وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٥) ص٥٥ ، وأخرجه الثعلبي كما ذكر المصنف ثمة. وفي الباب عن أبي أيوب ﷺ عند ابن المبارك في الزهد (٤٤٣).